﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ٤٥﴾

[يونس: 45]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـرّبـطُ بـينَ خُـسرانِ الدُّنيا الزّائلةِ باقترافِ الـشّـركِ، وخسرانِ الآخرةِ بالعَذابِ المُقيمِ

لمّا ذَكَرَ اللّه ﷻ ضَلالَ المُشركينَ، وطُرُقَ جدالِهم في باطِلِهم، وكانَ مَن يفعَلُ ذلكَ - ممَّنْ لا يعتقِدُ حشرًا ولا جزاءً - مُستطيلًا الزَّمانَ، آمنًا مِن حوادِثِه؛ حَسُنَ أن يُعَقَّبَ ذلك بأنَّهم يُلاقونَ يومَ القيامَةِ مِنَ الأهوالِ ما يستَقصِرونَ معه مُدَّةَ بقائِهم في الدُّنيا، فَخَسِروا دُنياهُم بجدالِهم الباطلِ ومخالفتِهم الشَّرعَ المُنَزَّلَ، وخسروا آخرتَهُم بالعذابِ الدّائمِ الّذي لا انقطاعَ فيه، فقال ﷻ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَلۡبَثُوٓاْ﴾: أصلُ (لبث): يدُلُّ على تَمَكُّثٍ، وانتظارٍ، واستبطاءٍ. قِيلَ: اللَّبثُ الاسمُ، واللُّبْثُ بالضَّمِّ: المَصدَرُ[2]، يُقالُ: لَبِثَ بالمَكانِ: أقامَ به مُلازِمًا له. وأَلبِثْ عن فلانٍ؛ أي: انتَظِرْه حَتّى يُبدِيَ انتظارُكَ إيّاه خطأَ رأيِه[3]، واستَلبَثَهُ، إذا استَبطَأَهُ، وهوَ استَفعَلَ مِنَ اللّبثِ، وهوَ الإبطاءُ والتَّأخُّرُ[4]. والمقصودُ باللَّبثِ في الآيةِ: الاستقرارُ في المَكانِ، وهو هنا مُستعارٌ للإبطاءِ.

2) ﴿سَاعَةً﴾: أصلُ (سوع): يدُلُّ على استِمرارِ الشَّيءِ ومُضيِّهِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/131.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (لبث).
(3) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (لبث).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (لبث).

مِن ذلكَ السّاعَةُ سُمِّيَت بذلكَ. يُقالُ جاءَنا بَعدَ سَوعٍ مِنَ اللَّيلِ وسواعٍ؛ أي: بَعدَ هَدءٍ مِنهُ[1]. والسّاعَةُ في الأصلِ تُطلَقُ بمعنيين: أحدُهما: أن تكونَ عبارةً عَن جُزءٍ مِن أربعةٍ وعشرينَ جُزءًا هيَ مجموعُ اليومِ واللَّيلةِ. والثّاني: أن تكونَ عبارةً عَن جُزءٍ قليلٍ مِنَ النَّهارِ أوِ اللَّيلِ[2]، يُقالُ: جلستُ عِندَكَ ساعَةً مِنَ النَّهارِ؛ أي: وقتًا قليلًا منه، ثُمَّ استُعيرَ لاسمِ يَومِ القيامَةِ[3]. قال الزَّجّاجُ: معنى السّاعَةِ في كُلِّ القُرآنِ: الوَقتُ الَّذي تَقومُ فيه القيامَةُ، يُريدُ أنّها ساعَةٌ خَفيفَةٌ يَحدُثُ فيها أمرٌ عظيمٌ، فَلِقِلَّةِ الوَقتِ الَّذي تقومُ فيه سَمّاها ساعَةً[4]. والمرادُ بالسّاعةِ في الآيةِ: المِقدارُ مِنَ الزَّمانِ.

3) ﴿ٱلنَّهَارِ﴾: أصلُ (نهر): يدُلُّ على تَفَتُّحِ شيءٍ أو فَتحِهِ. وأنهَرتُ الدَّمَ: فَتَحتُه وأرسَلتُهُ. وسُمِّيَ النَّهرَ لأنَّه يَنهَرُ الأرضَ؛ أي: يَشُقُّها[5]. ومِنه النَّهارُ: وهو انفِتاحُ الظُّلمةِ عن الضّياءِ ما بَينَ طُلوعِ الفَجرِ إلى غُروبِ الشَّمسِ. وسُمِّيَ نَهارًا؛ لأنَّ الضّياءَ يَنهَرُ فيه؛ أي: يَبرُزُ كما يَبرُزُ النَّهرُ[6]، ورَجُلٌ نَهِرٌ: صاحِبُ نَهارٍ كأنَّه لا يَنبَعِثُ لَيلًا[7]. والمقصودُ بالنَّهارِ في الآيةِ: ما بَينَ الفَجرِ إلى غُروبِ الشَّمسِ.

4) ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾: أصلُ (عرف): يدُلُّ على السُّكونِ والطُّمَأنينَةِ، تقولُ: عَرَفَ فُلانٌ فُلانًا عِرفانًا ومَعرِفَةً. وهذا أمرٌ معروفٌ. وهذا يدُلُّ على ما قُلناه مِن سُكونِه إليه؛ لأنَّ مَن أنكَرَ شيئًا تَوَحَّشَ منه ونَبا عنهُ. ومِنَ البابِ العَرفُ، وهي الرّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ، وهي القياسُ؛ لأنَّ النَّفسَ تَسكُنُ إليها. يُقالُ: ما أطيَبَ عَرفَهُ!. قال اللهُ ﷻ: ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦﴾ [محمد ﷺ: 6]؛ أي: طَيَّبَها. والعُرفُ: المَعروفُ؛ وسُمِّيَ بذلكَ لأنَّ النُّفوسَ تَسكُنُ إليه[8]. والمقصودُ بالتَّعارفِ في الآيةِ: إدراكُ الشَّيءِ بتفَكُّرٍ وتَدبُّرٍ لأثرِهِ، ويضادُّه الإنكارُ، وهو تَفاعُلٌ مِن عَرَفَ؛ أي: يَعرِفُ كُلُّ واحِدٍ مِنهُمُ الآخرَ.

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوع).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن الأثير، النّهاية: (سوع).
(3) الرّاغب، المفردات: (ساعة)، وابن الأثير، النّهاية: (سوع).
(4) الزّجّاج، معاني القرآن: 4/421، وابن الأثير، النّهاية: (سوع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نهر).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (نهر).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نهر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عرف).

5) ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: أصلُ (لقي): يدُلُّ على طَرحِ شيءٍ. اللِّقاءُ: الحُضورُ نحوُ الغَيرِ بقصدٍ أو بغيرِ قَصدٍ وفي خيرٍ أو شرٍّ، ولَقِيتُه لَقوَةً؛ أي: مرَّةً واحِدَةً ولِقاءَةً. ولَقِيتُه لُقيًا ولُقيانًا. واللُّقيَةُ فُعلَةٌ مِنَ اللِّقاءِ، والجَمعُ لُقًى[1]. والالتِقاءُ: المُحاذاةُ، وصيغَةُ الافتِعالِ فيه للمُبالغةِ[2]. والمرادُ باللِّقاءِ في الآيةِ: حُضورُ أحدٍ عندَ آخَر، والمُرادُ لِقاءُ اللّه تعالى للحِسابِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّذكيرُ بمقدارِ ظُلمِ المُشركينَ لأنفُسِهم في الدُّنيا، وخسارتِهم لها في الآخرةِ

يقولُ تعالى: ويومَ يَجمَعُ اللّه الكافرينَ في مَوقِفِ الحسابِ، فيَستقِلّونَ حينذاكَ مُدَّةَ مُكثِهم في الدُّنيا، كأنَّهم لم يَعيشوا فيها إلّا ساعةً مِن نَهارٍ، يتعارَفُ النّاسُ بينَهُم يومَ القيامةِ، كما كانوا يَتعارَفونَ في الدُّنيا، قد خَسِرَ ثوابَ اللّه وجَنَّتَه الجاحِدونَ لِلقاءِ اللّه يومَ القيامةِ، فاستحَقّوا دخولَ النّارِ، وما كانوا موفَّقينَ لِلحقِّ بتكذيبِهم بالبعثِ بعدَ المَوتِ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ العطفِ في: ﴿وَيَوْمَ﴾:

افتِضاحُ شِركِ المُشرِكينَ في الحشرِ بمرورِ الحياةِ كساعةٍ مِنَ الدّهرِ

عُطِفَ قولُ اللّه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾ على قولِه سُبحانَهُ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ﴾ [يونس: 28]، وهو مِن بابِ عطفِ القصَّةِ على القصَّةِ؛ رجوعًا إلى المقصودِ مِنَ الكلامِ بعدَ بيانِه وتفصيلِه "وذَمِّ المَسوقِ إليهم وتَقريعِهم، فإنَّه لَمّا جاءَ فيما مَضى ذِكرُ يَومِ الحَشرِ إذ هو حينُ افتِضاحِ ضلالِ المُشرِكينَ ببَراءَةِ شُرَكائِهم مِنهُم؛ أتبَعَ ذلكَ بالتَّقريعِ على عِبادَتِهِمُ الأصنامَ مَعَ وُضوحِ بَراهينِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/437.
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (لقي).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/187، والواحديّ، التّفسير البسيط: 11/215، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/348، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 365.

الوحدانيَّةِ لله تعالى. وإذْ كانَ القرآنُ قد أبلَغَهُم ما كان يَعصِمُهُم مِن ذلكَ المَوقِفِ الدَّليلِ لَو اهتَدَوا بِهِ؛ أتبَعَ ذلكَ بالتَّنويه بالقُرآنِ، وإثباتِ أنَّه خارِجٌ عَن طَوقِ البشرِ، وتَسفيه الَّذينَ كذَّبوهُ، وتَفَنَّنوا في الإعراضِ عنهُ، واستوفيَ الغَرَضُ حَقَّهُ، عادَ الكَلامُ إلى ذِكرِ يَومِ الحَشرِ مرَّةً أُخرَى، إذ هوَ حينَ خَيبَةِ أولئكَ الَّذين كَذَّبوا بالبَعثِ، وهُمُ الَّذينَ أشرَكوا، وظَهَرَ افتِضاحُ شِركِهِم في يومِ الحشرِ، فكانَ مِثلَ رَدِّ العَجُزِ على الصَّدرِ"[1].

نُكتةُ تقديمِ الظَّرفِ ﴿وَيَوْمَ﴾:

ظُهورُ خَسارَةِ المُشرِكينَ يومَ القيامةِ، مَعَ سَبقِ خسارَتِهِم في الدُّنيا

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾، قُدِّمَ فيه الظَّرفُ ﴿وَيَوْمَ﴾ على عامِلِه لإرادةِ الاهتمامِ؛ إذِ المقصودُ الأهمُّ ههنا هو تذكيرُهُم بذلكَ اليومِ، وهو يومُ القيامَةِ، وإثباتُ وقوعِهِ، مع تهديدِهِم وتحذيرِهِم بما يكونُ فيه مِنَ الأهوالِ[2]. وانتصبَ قولُه: ﴿وَيَوْمَ﴾ على الظَّرفيَّةِ، وفي ناصِبِه أوجُهٌ، أحدُها: أنَّه منصوبٌ بالفعلِ الَّذي تَضَمَّنَه قولُه: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾، وثانيها: أنَّه منصوبٌ بـ ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾، وثالثها: أنَّه منصوبٌ بمقدَّرٍ؛ أي: اذكرْ يومَ[3]، وعلى هذا الأخيرِ، يكونُ التَّقديرُ: اذكرْ يَومَ يجمعُ هؤلاءِ المُشركينَ للحسابِ كأنَّهم ما أقاموا في الدُّنيا إلّا ساعةً مِنَ النَّهارِ لِهَولِ ما يَرونَ مِنَ الأهوالِ.

واستَظهَرَ ابنُ عاشورٍ أن يكونَ عاملُه فِعلَ الخُسرانِ ﴿خَسِرَ﴾، "والتَّقديرُ: وقد خَسِرَ الَّذينَ كَذَّبوا بِلِقاءِ اللهِ يَومَ نَحشُرُهُم"[4].

سرُّ إضافةِ ﴿وَيَوْمَ﴾:

نكرانُ الكفّارِ ليومِ القيامةِ، لا يَمنعُ شِدَّةَ ما يُقاسونَه مِن شدائِدِ يومِ الحشرِ

أُضيفَ ﴿وَيَوْمَ﴾ إلى الحَشرِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ لِلَفتِ انتباهِهِم إلى هذا اليومِ العظيمِ الَّذي أنكروه وأنكَروا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/181.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/181.
(3) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 6/208.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/181.

وُقوعَهُ، ولهولِ ما يُقاسونَه مِن شدائدِ القيامةِ، وطولِ وُقوفِهم فيه للحسابِ، ولأنَّه هوَ اليومُ المخصوصُ بوقوعِ الجزاءِ مَعَ نُكرانِهم إيّاه واستبطائِهم مجيئَه تهكُّمًا واستهزاءً بهِ.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾:

إحضارُ صورةِ الحشرِ في نُفوسِ مُنكريهِ؛ ليَكونَ ذلكَ أردَعَ في تَركِهم إنكارَهُ

قولُ اللّه تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾، وفيه الفعلُ المضارعُ في أصلِ استعمالِهِ، دالٌّ على التَّجدُّدِ والحدوثِ، وفي قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ إقامةَ اللّه سبحانَه العبادَ لأجلِ الحسابِ، وإنْ وَقَعَ دفعةً واحدةً، إلّا أنَّ حشرَهُم للجزاءِ يقعُ حالًا بعدَ حالٍ، فحشرُهُم مُتجدِّدٌ باعتبارِ أنَّ كُلَّ جماعةٍ مُتشاكِلةٍ في العملِ تُحشَرُ مع مُشاكِلِها، كما يدُلُّ لذلك قولُ اللّه ﷻ: ﴿٭ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصّافات: 22].

كما أفادَ التَّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ استحضارَ صورةِ هذا الحشرِ في نُفوسِهم حتَّى يكونوا على ذكرٍ منهُ، وإن كانوا يُنكِرونَه، "فالأفعالُ المضارِعةُ في الكلامِ الحُرِّ مرايا تَعكِسُ لكَ الصّورَ والأحداثَ، فلا تَسمَعُها بأذنِكَ فقط، وإنَّما تراها بعَينَيكَ أيضًا"[1].

توجيه القراءاتِ القرآنيَّةِ في: ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾:

ما بينَ القراءةِ بالياءِ أو النّونِ بيانٌ لقدرةِ اللّه على التَّصرُّفِ في مُلكِه الظّاهرِ والمكنونِ

قَرَأَ حَفصٌ عَن عاصِمٍ وحدَه مِن بينِ العشرةِ ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ بياءِ الغَيبَةِ؛ لِيشاكِلَ ذلك قولَه سُبحانَه قَبلُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾، فلمّا نَفَى اللّه ﷻ الظُّلمَ عن نَفسِهِ، وأثبَتَه لأنفُسِهم، أبانَ لهم أنَّ هُناكَ يومًا يَحشُرُهُم فيه سُبحانَه لِلجزاءِ والحسابِ.

وقرَأَ باقي القرّاءِ (نَحۡشُرُهُم) بالنّونِ[2]، وهي نونُ العَظَمَةِ، وفي ذلك التفاتٌ مِنَ الغَيبَةِ إلى التَّكلُّمِ؛ لِما في أسلوبِ التَّكلُّمِ مِن إدخالِ

(1) محمّد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، ص: 32.
(2) الدّمياطيّ، إتحاف فضلاء البشر، ص: 313.

المَهابةِ على النُّفوسِ، وفي ذلكَ أيضًا مِنَ بيانٍ عظيمٍ قوَّةِ تصرُّفِه تعالى في مُلكِه وعُمومِ إرادَتِه.

دِلالةُ جملةِ: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾:

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، يجوزُ أن يكونَ جملة اعتراضيَّة[1] بينَ جملةِ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ وجملةِ: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾، والتَّقديرُ: يتعارفونَ بينَهُم يومَ يحشرُهُم؛ لِكونِهم قد رأوا مُدَّةَ بقائِهم في الدُّنيا مِنَ القلَّةِ، بحيث لَم يكُنْ ذلك كافيًا لإيقاعِ التَّعارفِ فيها.

النّاسُ سوفَ يَستقلّونَ يومَ الحَشرِ مُدَّةَ بقائِهم في الحياةِ الدُّنيا

ويجوزُ أن تكونَ حالًا مِنَ الضَّميرِ المنصوبِ[2] في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ - وهوَ (هُم) -، ومالَ إليه الزَّمخشريُّ[3]؛ والمَعنى: ويومَ يحشُرُهُم حالَ كونِهم مُشَبَّهينَ بِمَن لَم يلبثْ إلّا ساعةً.

دِلالَةُ ﴿كَأَن﴾:

﴿كَأَن﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقيلةِ، واسمُها ضميرُ الشَّأنِ محذوفٌ، وحذفُه هوَ الغالبُ في كلامِ العربِ، وتقديرُه ههنا: كأنَّهُم - أي: المشركون - لَم يَلبثوا إلّا ساعةً مِنَ النَّهارِ، وقد دلَّ على المحذوفِ تَقَدُّمُ الضَّمائرِ العائِدةِ عليهِم.

بيانُ أنّ طَيَّ اللَّفظِ الّذي دلَّ السّياقُ على تعيينِه اقتصادٌ في الكلامِ

بلاغةُ جملةِ التَّشبيه ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾:

التَّشبيه في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، "تَشبيه المَحشورينَ بَعدَ أزمانٍ مَضَتْ عليهِم في القُبورِ بأنفُسِهم لَو لَم يَلبَثوا في القُبورِ إلّا ساعَةً مِنَ النَّهارِ"[4]. قال الآلوسيُّ: "وليسَ المرادُ مِنَ التَّشبيه ظاهِرَه على ما قيلَ، وقد صرَّحَ في شرحِ

خَسرَةُ الكافِرينَ يومَ القيامةِ على ضياعِ أعمارِهِم سُدًى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/181.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/181.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/239.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/181.

المِفتاحِ أنَّ التَّشبيهَ كثيرًا ما يُذكَرُ، ويُرادُ به مَعانٍ أُخرُ تَترتَّبُ عليه، فالمرادُ: إمّا التَّأسُّفُ على عدمِ انتفاعِهم بأعمارِهم أو تَمَنِّي أن يَطولَ مُكثُهُم قَبلَ ذلكَ حتَّى لا يُشاهِدوا ما شاهَدوه مِنَ الأهوالِ، فمآلُ الجُملةِ في الآخرةِ نَحشُرُهُم مُتَأسِّفين أو مُتَمنِّينَ طولَ مُكثِهم قبلَ ذلكَ، ويَجوزُ أن يُرادَ (نحشُرُهُم) مُشَبِّهينَ في أحوالِهم الظّاهِرَةِ لِلنّاسِ بمَن لَم يَلبَثْ في الدُّنيا، ولَم يَتَقَلَّبْ في نَعيمِها إلّا يَسيرًا"[1].

وجملةُ التَّشبيه خبريَّةٌ، يجوزُ أن يُرادَ بها إعلامُ المُخاطَبينَ بما تضمَّنَتهُ، ويجوزُ أن يُرادَ بها التَّأسُّفُ والتَّحسُّرُ - على ما ذكرَه الآلوسيُّ قبلُ - ، فتكون الجملةُ مَجازًا مُرسَلًا مُركَّبًا، ولا مانِعَ مِن إرادَةِ الدّلالَتين معًا؛ لعدمِ تنافيهما بهذا الاعتبارِ.

بلاغةُ القَصرِ بالاستثناءِ المفرَّغِ:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ أسلوبُ قصرٍ، وهو مِن قصرِ الصِّفةِ على الموصوفِ، وهي صِفَةُ لُبثِهم في الحياةِ الدُّنيا على موصوفٍ، وهي السّاعَةُ، أوِ الوقتُ الزَّمَنيُّ مِنَ النَّهارِ قَصرًا حَقيقيًّا ادِّعائيًّا، وطريقُ القصرِ ههنا: النَّفيُ والاستثناءُ، وهو مُستعمَلٌ في الأصلِ لِما يُنكِرُه المُخاطَبُ، ولا يُقِرُّ بِهِ.

قِصَرُ مُدَّةِ البَقاءِ في الدُّنيا، يُقابِلُها طولُ الحسابِ في الآخرةِ

دلالةُ التَّعبيرِ باللُّبثِ ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

قَولُ اللهِ تعالى: ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، وفيه لفظُ اللُّبثِ بالمَكانِ، وهو الإقامةُ فيه، إلّا أنَّها لَيسَت بالإقامةِ الدّائمَةِ المُتَّصِلَةِ، ولذلكَ وردَت هذه المادَّةُ في القرآنِ الكريمِ مَقرونَةً بصفةِ القِلَّةِ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: 76]، وكما وردَت في هذا المَوضِعِ ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، وغَيرُها كَثيرٌ.

قِلَّةُ لبثِ الكُفّارِ في الدُّنيا في مقابلِ ما يَحصُلُ لهُم مِنَ العذابِ في الآخرةِ

ومَجيئُها هُنا مَضروبًا بها المَثَلُ في قلّةِ لُبثِهم في حياتِهم الدُّنيا

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/127.

أو في البَرزَخِ، فاستعمالُ اللُّبثِ مَثَلٌ في القِلَّةِ والحقارَةِ في مُقابلِ ما يَحصُلُ لَهُم مِنَ العذابِ الشَّديدِ، وأفادَ التّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ استحضارَ صورةِ لبثِهِم في الحياةِ الدّنيا.

نُكتةُ تنكيرِ ﴿سَاعَةَ﴾:

إبطالُ دَعوى المُشركينَ في زَعمِهِمُ استِحالَةَ البعثِ بعدَ الموتِ

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ المرادُ مِنَ السّاعَةِ فيه؛ هي المِقدارُ المعلومُ مِنَ الزَّمانِ الَّذي يَعيشُه الإنسانُ، والمرادُ: هُنا لِقلَّتِها وحَقارَتِها، وعادَةً ما يُعَبَّرُ بِها عن الزَّمَنِ القَصيرِ مَع وجودِ قَرينةٍ، ذكر ابنُ عاشور أنّ التَّعريضَ بإبطالِ دَعوَى المُشركينَ إحالَتَهُمُ البَعثَ بِشُبهَةِ أنَّ طولَ اللُّبثِ وتَغَيُّرَ الأجسادِ يُنافي إحياءَها؛ والتَّعبيرُ بها كنايةٌ عَن قِلَّةِ الزَّمنِ الَّذي يُعاشُ تأسُّفًا على حالِهِم وما تَمَنَّوهُ، فضُربَ بها المثلُ: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ [النّازعات: 10، 11][1].

دلالةُ ﴿مِّنَ﴾:

تَقليلُ مُدَّةِ لُبثِهِم في الدُّنيا وتَحقيرُها إمعانٌ في تهوينِ شأنِها

جاءَت ﴿مِّنَ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾؛ للدِّلالةِ على التَّبعيضِ، والمعنى: لم يلبثوا إلّا ساعةً، هي بعضُ النَّهارِ لا كُلُّه، وذلك مبالغةً في تقليلِ مُدَّةِ لُبثِهِم، ولازِمُ ذلك: تحقيرُ تلك المدَّةِ؛ لأنَّ التَّقليلَ يُجامِعُ التَّحقيرَ كثيرًا. و﴿مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ صفةٌ لقوله: ﴿سَاعَةً﴾، قال ابنُ عاشورٍ: "وهو وصفٌ غَيرُ مُرادٍ مِنه التَّقييدُ؛ إذْ لا فَرقَ في الزَّمنِ القليلِ بَينَ كَونِه مِنَ النَّهارِ أو مِنَ اللَّيلِ، وإنَّما هذا وصفٌ خَرَجَ مَخرَجَ الغالِبِ؛ لأنَّ النَّهارَ هوَ الزَّمنُ الَّذي تَستَحضِرُه الأذهانُ في المُتعارَفِ"[2].

دلالةُ (ال) في ﴿ٱلنَّهَارِ﴾، ونُكتةُ التَّعبيرِ بالنَّهارِ:

ساعاتُ النَّهارِ أعرَفُ حالًا مِن ساعاتِ اللَّيلِ

اللّامُ في ﴿ٱلنَّهَارِ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/182.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/182.

ٱلنَّهَارِ﴾ لِلعَهدِ الذِّهنيِّ بمعناه عِندَ البلاغيّين لا عندَ النُّحاةِ؛ وهو الدّالُّ على الحقيقةِ ضِمنَ فردٍ مُبهَم؛ والمعنى: لم يَلبَثوا إلّا ساعةً من نهارٍ غيرِ مُعيَّنٍ؛ ولا يُرادُ به العَهدُ العِلميُّ؛ إذ ليسَ المرادُ أنَّهم لبثوا ساعةً مِن نهارٍ معيَّنٍ، كما هو ظاهرٌ.

والنَّهارُ هو الزَّمنُ المعروفُ المُقابِلُ لِزمنِ اللَّيلِ، وتخصيصُ النَّهارِ بالذِّكرِ في الآيةِ؛ لكونِ ساعاتِه أعرَفَ حالًا مِن ساعاتِ اللَّيلِ[1].

المَوقِعُ النَّحويُّ والبيانيُّ لـ: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾:

جملةُ: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ حالٌ أُخرى، والعامِلُ فيها ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، وهي حالٌ مُقدَّرَةٌ؛ لأنَّ التَّعارُفَ لا يكونُ وقتَ الحَشرِ بل مُتأخِّرًا عنهُ، وقد جاءَتِ الجملةُ مَفصولةً على هذا الوجهِ؛ لأنَّ جملةَ الحالِ إذا صُدِّرَت بفعلٍ مُضارعٍ وَجَبَ خُلوُّها مِنَ الواوِ.

أثـرُ المعـاني القُرآنيَّةِ في تنوُّعِ مَوقِعِ الجملةِ في السِّياقِ

ويجوزُ أن تكونَ جملةُ: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ واقعةً جوابًا عن سؤالٍ يُفهَمُ مِنَ الجملةِ السّابقةِ، فيكونُ فصلُها لوقوعِها استئنافًا بيانيًّا، وهو المُسمَّى: شبه كمالِ الاتِّصالِ، وذلك أنَّ قولَ اللهِ سُبحانَه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يبعَثُ في نفسِ المتلقّي سؤالًا؛ وهو: ماذا يَحدُثُ لهُم بَعدَ الحشرِ وما هُم فيه؟ فجاءَ الجوابُ: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾. ويجوزُ أن تكونَ جملةُ ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ بيانًا للجملةِ قبلَها، فيكونُ بينَ الجُملتينِ كمالُ الاتِّصالِ؛ ووجه ذلكَ أنَّ جملةَ التَّعارُفِ وردَت بيانًا للتَّشبيهِ المُستفادِ مِن ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾، ودليلًا عليها، قال الآلوسيُّ: "وذلكَ أنَّه لو طالَ العَهدُ لَم يبقَ التَّعارُفُ؛ لأنَّ طولَ العَهدِ مُنسٍ مُفضٍ إلى التَّناكُرِ، لكنَّ التَّعارُفَ باقٍ، فَطولُ العَهدِ مُنتَفٍ، وهو مَعنى ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً﴾"[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/150.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/128.

فائدةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾، نجدُ أنّ الفعلَ المُضارعَ ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ يُفيدُ التَّجَدُّدَ والحُدوثَ، كأنَّ التَّعارُفَ بينَهُم لا يَنقَطِعُ، يُريدُ كُلُّ واحِدٍ مِنهُم أنْ يَعرِفَ صاحِبَه وحالَهُ، "والتَّعارُفُ: تَفاعُلٌ مِن عَرَفَ؛ أي: يَعرِفُ كُلُّ واحِدٍ مِنهُم يومَئِذٍ مَن كانَ يَعرِفُه في الدُّنيا، ويَعرِفُه الآخرُ كذلك. والمَقصودُ مِن ذِكرِ هذه الحالِ كالمَقصودِ مِن ذِكرِ حالةِ ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾؛ لِتَصويرِ أنَّهُم حُشِروا على الحالَةِ الَّتي كانوا عليها في الدُّنيا في أجسامِهِم وإدراكِهِم، زيادةً في بيانِ إبطالِ إحالَتِهِم البَعثَ بشُبهَةِ أنَّه يُنافي تَمَزُّقَ الأجسامِ في القُبورِ وانطِفاءَ العُقولِ بالمَوتِ"[1].

إبطالُ اعتِقادِ المُشرِكينَ استِحالةَ البعثِ والحشرِ، مِن مَقاصِدِ البيانِ القرآنيِّ

عِلَّةُ الفَصلِ في: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾:

فُصِلَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِكَونِه استئنافًا بَيانيًّا، وذلكَ لِوقوعِه جوابًا عن سؤالٍ يُفهَمُ مِنَ الجملةِ السّابقةِ، وهي قولُه سبحانَهُ: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾، كأنَّه قِيلَ: ما الَّذي يَحدُثُ لَهُم بَعدَما وقَعَ بَينَهُم مِن تَعارُفٍ؟ أو ما الحالُ الَّتي تَرَتَّبت على تعارُفِهِم؟ فجاءَ الجوابُ في قولِه ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾، وقد سِيقَت لِلشهادَةِ مِنه سبحانَه على خُسرانِهِم والتّعجيبِ مِنهُ، وهي خَبريَّةٌ لفظًا إنشائيَّةٌ مَعنًى؛ أي: ما نَتيجَةُ مَن يُكَذِّبُ بلقاءِ اللهِ[2].

أثرُ الاستِئنافِ البيانيِّ في إبرازِ مُتابعةِ المُتَلَقّي وشوقِهِ

نُكتةُ دُخولِ ﴿قَدْ﴾ على الفعلِ ﴿خَسِرَ﴾:

﴿قَدْ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ حرفٌ دالٌّ على التَّحقيقِ، وقد أفادَ تَحَقُّقَ وُقوعِ الخُسرانِ لهؤلاءِ المُكَذِّبينَ،

تَحَقُّقُ خُسرانِ المُكَذِّبينَ بلقاءِ اللهِ ربِّ العالَمين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/183.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/128.

وأنَّه لا مَنجى ولا مَهرَبَ منه البَّتَةَ، فصارَ خُسرانُهُم أمرًا مُحقَّقًا لا مَعدِلَ منهُ. ويُؤيِّدُ هذه الدّلالَةَ التَّعبيرُ عنِ الخسرانِ بالفعلِ الماضي ﴿خَسِرَ﴾ المفيدِ الجَزمَ بالوقوعِ.

دلالةُ الجملةِ الخبريَّةِ في: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾:

عِـظَـمُ خـسـارَةِ المُـشـرِكـيـنَ، وشِـدَّةُ حالِهِم الّتي آلَ إليها أمرُهُم

قولُ اللّه ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ جملةٌ مُستأنَفةٌ، سِيقَتْ للشّهادَةِ منه تعالى على خُسرانِهم؛ فبيَّنَ ﷻ أنَّ الذين كذَّبوا بلقائِه خاسرونَ لا محالَةَ، ولذا قُرِنَ الإخبارُ عن خُسرانِهم بحرفِ التَّحقيقِ ﴿قَدْ﴾[1].

قال الزَّمخشريُّ: "وهو استئنافٌ فيه معنى التَّعجُّبِ، كأنَّه قِيلَ: ما أخسَرَهُم؛ لأنَّهُم وُضِعوا في تِجارَتِهم وبَيعِهِم الإيمان بالكفر"[2].

فلفظُ الجملةِ خَبَرٌ، ومعناها الإنشاءُ؛ على إرادةِ معنى التَّعجُّبِ مِن خُسرانِهِم، وما آلَ إليه أمرُهُم.

ويجوزُ أن تكونَ الجملةُ في محلِّ نصبٍ، وذلك بإضمارِ قولٍ؛ أي: قائلين: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ﴾...، وعليه فهي مَقولٌ لِقولٍ مُقدَّرٍ وقع حالا مِن ضميرِ ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ أو مِنَ الضَّميرِ في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾[3].

نُكتةُ التَّعبيرِ بالخُسرانِ، ودِلالَةُ حَذفِ مَفعولِه:

الكُفرُ والتَّكذيبُ بلقاءِ الله تعالى ماحِقٌ لِكُلِّ عملٍ صالحٍ

قَولُ اللّه تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾، الفعل الماضي دالٌّ في الأصلِ على تحقُّقِ الشّيءِ وحصولِهِ، وهو كذلك في قولِ اللّه ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾، فخسرانُهُم مَقطوعٌ به. وفي الجملةِ حَذفٌ لِمفعولِ الفعلِ، والتَّقديرُ: خَسِروا أنفسَهُم؛ وذلكَ لأنَّهُم تبدَّلوا الكفرَ الماحقَ لأعمالِهم بالإيمانِ المخلِّصِ لَهم مِنَ الضّياعِ والبوارِ، وحَذفُ المفعولِ (أنفسَهم) لقصدِ الإيجازِ، وللعِلمِ بِهِ، ولِلَفتِ الذِّهنِ إلى الأمرِ الأهمِّ مباشرةً؛ وهو تَكذيبُهُم بلقاءِ اللّه.

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 6/208.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/239.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/128.

بلاغةُ الاستعارةِ في تشبيه أعمالِهِم:

مِن بلاغةِ القرآنِ إخـراجُ المعـاني المعقولةِ بصورةِ المحسوسةِ

وفي التَّعبير بالخسران استعارةٌ؛ لأنَّ أصلَ الخسرانِ انتقاصُ رأسِ المالِ[1]، فشُبِّه محقُ الكُفرِ لأعمالِهم بمَن انتقَصَ رأسُ مالِه؛ بجامعِ الضَّياعِ في كلٍّ؛ فحُذِفَ المشبَّهُ، وصُرِّحَ بالمشبَّه بِه، على طريقةِ الاستعارَةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ، والمَعنى: أنَّهم ضيَّعوا أعمالَهُم الَّتي عَمِلوها في دُنياهُم.

ويجوزُ أن تكونَ الاستعارةُ مكنيَّةً؛ وذلك بتشبيه لقاءِ اللّه والإيمانِ به بتجارةٍ تقومُ بالرّبحِ والخسرانِ مبالغةً فيما وصَلَ إليه حالُهُم مِنَ الضَّياعِ والبوارِ.

وعلى كلا الوجهينِ فيه إخراجٌ للمعاني المَعقولَةِ في قالبِ الصّورِ المحسوسةِ؛ ليكونَ ذلك أعلقَ بالذِّهنِ، وأوضحَ في تصوُّرِ ضياعِهِم في الآخرةِ.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصلتِه:

التَّكذيبُ بلقاءِ اللهِ تعالى مِن أعظمِ أسبابِ الخُسرانِ

قول اللّه ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾، وفيه أنّ التَّعبيرَ عن المُشركينَ بالاسمِ الموصولِ مع أنَّ المقامَ مَقامُ إضمارٍ؛ وذلك لقصدِ ذمِّهِم بما في حيِّزِ الصِّلةِ، ولِلإشعارِ بعلّيَّتِه لِما أصابَهُم.

ومِنَ المعلوم أنَّ الاسمَ الموصولَ مِنَ الأسماءِ المُبهَمةِ، ولذا تأتي الصِّلةُ بَعدَه لإزالةِ هذا الإبهام، فكانَ في التَّعبير بالاسمِ الموصولِ زيادة تقرير للغرضِ المَسوقِ لَه الكَلامُ؛ وهو بيانُ حالِ هؤلاءِ المكذِّبينَ بلقاءِ اللّه، وما آلوا إليه مِن خُسرانٍ وبوارٍ.

بلاغةُ الكنايةِ في جملةِ: ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾:

التَّخويفُ مِن مـوافـاةِ اللـه تـعـالى يـومَ القيامةِ، بقلبٍ مُكَذِّبٍ كنودٍ

المرادُ بلقاءِ اللّه تعالى في قولِه ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ يومَ القيامَةِ؛ لأنَّه يومُ لقاءِ اللّه تعالى لِلحسابِ والجَزاءِ، ففي

(1) الرّاغب، المفردات: (خسر).

قوله: ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: كنايةٌ، ونُكتَةُ العدولِ عنِ التَّصريحِ بأنَّه يومُ القيامةِ إلى التَّعبيرِ بلقاءِ اللّه تعالى: ما في التَّعبيرِ الكنائيِّ مِنَ الرَّهبَةِ والجلالِ والتَّخويفِ؛ إذ هوَ اليومُ الّذي يَلقى العبدُ فيه مَن له جَميعُ صفاتِ الجلالِ والكمالِ، فكيفَ يكونُ حالُ العَبدِ إذا وافَى اللّه تعالى، وهو مُكَذِّبٌ بلقاءِ مَن هوَ قائِمٌ بَينَ يديه للحسابِ؟!

دلالةُ الإضافةِ في المُرَكَّبِ الإضافيِّ ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾:

شَناعَةُ اعتقادِ المُشرِكينَ في تكذيبِهِم بلقاءِ اللهِ تعالى

إضافةُ اللِّقاءِ إلى الاسمِ الأحسنِ في قولِ اللّه سبحانَهُ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾؛ تعظيمًا لهذا اللّقاءِ، وتنويهًا بشأنِه، ولازمُ ذلك بيانُ شناعَةِ هذا التَّكذيبِ الصّادرِ مِنَ المُشركينَ؛ إذ كذَّبوا بأعظَمِ لقاءٍ وبأعظَمِ مَن يُلقَى ﷻ.

دلالةُ (الواوِ) في: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾:

لا هِدايةَ لِمَن خَسِرَ دُنياه وأعمالَهُ، ولم يتبْ إلى اللهِ

الواوُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾عاطفةٌ جملةً على جملةٍ؛ وذلك أنَّها عطفَت جملةَ نفي الاهتداءِ عن هؤلاءِ على جملةِ ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾، فلمّا خَسِرَ هؤلاءِ دُنياهُم وأعمالَهُم؛ جاءَت هذه الجملةُ لِتنفيَ هدايتَهُم بالكلِّيَّةِ؛ إذ لا هِدايةَ لصاحبِ خُسرانٍ، ويمكنُ أن تكونَ واوًا للحالِ على معنى: قد خَسِروا، والحالُ أنّهُم ما كانوا مُهتَدينَ.

بلاغةُ التَّذييلِ: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾:

المُبالغةُ في نَفيِ الهِدايةِ عن المُشرِكينَ بعدَ إثباتِ الخُسرانِ لَهُم

قولُ اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾، لمّا وَقَعَ مِنَ المُشركينَ التَّكذيبُ بلقاءِ اللّه تعالى، وما فيه مِنَ الحسابِ والجزاءِ، وثبتَ لهم الخسرانُ؛ جاءَت هذه الجملةُ تذييلًا مُتمِّمًا لبيانِ حالِهم، فقُدِّمَ النَّفيُ مبالغةً وتوكيدًا في نَفي هِدايتِهم.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالهِدايةِ مادَّةً وصيغةً:

قولُ اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾، الهِدايةُ: دَلالةٌ بلُطفٍ، وأمّا

قولُ اللّه تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات: 23] فَخُرِّجَ ذلك على أنَّه قد استُعمِل فيه لفظُ الهِدايةِ على جهةِ التَّهكُّم؛ مُبالغةً في المعنى.

التَّكذيبُ بلقاءِ اللّه سبحانَه مِن أعظَمِ أسبابِ حَجبِ الهِدايةِ

وهدايةُ اللّه تعالى للإنسانِ الَّتي عمَّ بِجنسِها كُلَّ مُكلَّفٍ مِنَ العقلِ، والفِطنةِ، والمَعارفِ الضَّروريَّةِ، كلٌّ بحسبِه[1]. والمرادُ بنَفي الهِدايةِ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾: أنَّ اللّه تعالى مَنَعَ هؤلاء تَوفيقَه الَّذي خُصَّ به المُهتدونَ الَّذين تَبَصَّروا حقائقَ الأمورِ، فالتزَموا أوامرَها، واجتنَبوا مَناهيَها، كما ناسبَ التَّعبيرُ بالهِدايةِ المنفيَّةِ هنا حالَ الخاسِرينَ الَّذينَ كذَّبوا بلقاءِ اللّه، وأنكَروا حصولَهُ، فَحَرَمَهُمُ اللّه هذه الهِدايةَ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

اللُّبثُ والمُكثُ:

اللُّبثُ مِن قولِهم: لَبِثَ بالمكانِ؛ إذا أقامَ به مُلازِمًا له. قال اللّه تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ﴾ [العنكبوت: 14][2]، وقد يُرادُ به القليلُ والكثيرُ؛ ففي اللُّبثِ إقامةٌ مع مُلازَمةٍ طالَت أم قَصُرت، ووَرَدَت في قولِ اللّه سبحانَهُ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ مُرادًا بها قِصَرُ الإقامةِ وعدم إطالتِها.

اللُّبثُ إقامةٌ مع مُلازمةٍ طالَت أم قَصُرت، والمُكثُ دالٌّ على ثباتٍ مع انتظارٍ

وأمّا المكثُ فهو دالٌّ على ثباتٍ مع انتظارٍ، قال اللّه تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ [النّمل: 22][3]، وفي المُكثِ معنى اللُّبثِ، والمرادُ بقوله: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزّخرف: 77]: لابِثونَ في العَذابِ لا تَتخلَّصونَ عنه بموتٍ ولا فتورٍ[4].

(1) الرّاغب، المفردات: (هدى).
(2) الرّاغب، المفردات: (لبث).
(3) الرّاغب، المفردات: (مكث).
(4) النّسفيّ، مدارك التّأويل: 3/282.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»